Dr. Eng.
Nader Riad

الإهمال البيئي وانهيار الإمبراطوريات

لم تشهد إمبراطورية فترة ازدهار ممتدة وتوسع خارج الحدود مثلما شهدته الإمبراطورية الرومانية حيث بلغت هذه الإمبراطورية عبر قرون ممتدة شأناً عاليا ندر أن يدانيها فيها أي إمبراطوريات أخري سواء كان ذلك في العلوم العسكرية بجميع فروعها بدءاً من التدريب والتأهيل وتطوير الأسلحة الحديثة وإنشاء الأساطيل وعلوم الإمداد والتموين والاتصالات أو في الجوانب الاقتصادية والجوانب التعبوية والنظم الإدارية والتشريعية حيث كان لروما الفضل في أول واقوي برلمانات العالم التي سجلها التاريخ واحترمها ، وتلازم مع هذا امتداد طبيعي للإمبراطورية في الشرق والغرب مع المحافظة علي الوجود المسيطر عبر تلك المستعمرات المترامية الأطراف.

ولم تكن مصادفة أن جعل الاستعمار الروماني لمصر من الساحل الشمالي سلة الغذاء التي وفرت لروما احتياجاتها من الغلال المأمون عبر اقصر الطرق البحرية ... كما أن المد التوسعي لتلك الإمبراطورية امتد شمالا ليشمل مناطق كبيرة من أوروبا بدءاً من استعمار ألمانيا ذاتها والتي أطلق الرومان علي أهلها اسم (البرابرة) حيث كانت تحيا في إقطاعيات لا يتشكل معها شكل الدولة المركزية ذات السلطة والسيادة بمفهوم الحكم المركزي والحكم المحلي ... إلا انه لم يلبث هذا المد القوي والمؤثر لتلك الإمبراطورية الرومانية أن انحصر بسرعة كبيرة لا تتماشي مع طول فترة امتدادها المستقر مخلفاً وراءه الكثير من الآثار التي تشهد حتى اليوم بعظمة تلك الإمبراطورية وتفوقها عن زمانها في علوم المعمار والطب والإدارة والاقتصاد.

هذا الأمر دعا الكثير ليس فقط من المؤرخين بل الجامعات بما لديها من رجال الفكر المتخصص في كافة الجوانب لتناول هذه الإمبراطورية الفريدة بالبحث والدراسة والاستنباط بحثاً عن أسباب انهيارها ، حيث بدأت دراسات موسعة تعمقت في تناول تلك

تليفون : ٥٩١٠٠٥٠ / ٥٩١٨٠٤٣ (٠٢) فاكس : ٥٩١٣٧٦٢ (٠٢) ص.ب : ٢٠١٦ – ١١١١١ القاهرة

الجوانب وعلي رأسها الدراسات الاقتصادية والاجتماعية والقانونية وعلوم الإدارة والاتصالات والظواهر الصحية التي شملتها تلك الحقبة.

ولعل من أكثر الدراسات حداثة في العهد ، وغرابة في الشأن تلك الدراسات التي تناولت شئون البيئة في ظل حكم الإمبراطورية الرومانية التي وصل احد فصولها لأمر اشد غرابة وهو أن الرومان اعتادوا أن يتناولوا طعامهم في أطباق معدنية مزركشة الحواف بنتوءات بارزة بديعة التكوين ، إلا أن هذه الأطباق التي كانت تصنع بطريقة السباكة كان يدخل في صناعتها معدنا الرصاص والزنك بنسبة كبيرة ، وهو الأمر الذي نجم عنه حالة بطيئة المفعول من التسمم والممتد لفترات طويلة يعزي إليه ما فسره العلماء باعتلال صحة الجنود والقوات وتدني مستوي اللياقة في مرحلة عمرية صغيرة.

كما لم تغفل الدراسات الأثر الأكبر للرصاص علي صحة الأطفال ، وما في ذلك من تأثير علي الذكاء وبطء في استيعاب المعلومات إلي آخر ما ذهب إليه المحللون المتخصصون في هذا الشأن.

وسواء أصاب هؤلاء العلماء فيما ذهبوا إليه من أن إغفال التحوط فيما يستعمله الرومان من أوان للطهي والمأكل كان السبب الرئيسي لانهيار الإمبراطورية الرومانية وما انتهت إليه ، إلا أننا لا نستطيع أن نتغاضى عن أهمية هذا البحث من أن التقدم في أي مجتمع مهما بلغ شأنه العلمي والاقتصادي إلي آخره، لا يغني عن الاهتمام بصحة الفرد البدنية والعقلية والنفسية في غيبة وجود بيئة صحية ُمثلي ... إذ أن الإنسان يبقي الصانع الرئيسي والمحرك الأول للنجاح والتقدم وأيضا للفشل والتخلف، فلنتمسك جميعاً بحقنا في أن نحيا في بيئة صحية نظيفة ونحافظ علي تلك البيئة لأننا في النهاية أبناء لكوكب الأرض وفي الحفاظ علي كوكب الأرض البقاء لحياتنا ، وإننا جميعاً مسئولون عن جودة الحياة علي هذه الأرض .

تحريراً في ٢٠٠٥/٨/٣

تليفون : ٥٩١٠٠٥٠ / ٥٩١٨٠٤٣ (٠٢) فاكس : ٥٩١٣٧٦٢ (٠٢) ص.ب : ٢٠١٦ – ١١١١١ القاهرة